فهرس الكتاب

عنوان	صفحه
ما قَبْلَ المقدِّمة	هفت
مقدِّمة	۱
البابُ الأوّل: الخطابة و الخطباء	
الخَطابة و الخطيب في العصر الأمويّ	۱۱
نماذج من الخطب و الخطباء في هذا العصر و قُبَيله	۱۲
من خطب عليّ أميرالمؤمنين (ع) (۱۲)، خطبة معاوية (۱۳)، سحبان وائل (۱۴)، خطبة زياد بالبصرة (۱۶)، خطبة عبداللّه بن الزبير (۲۱)، خطبة لِقَطَـريّ بـن الفُجَاءة (۲۲)، خطبة عبيداللّه بن زياد (۲۳)، من خطب الحجّاج (۲۴)، خطب عمر بن عبدالعزيز ... (۲۵).	
نَبْذةٌ من غريب كلام الخطباء و نقد الجاحظ لها	۲۹
ذكر القُصّاص	۴۰
للقراءة و الاطّلاع	۴۳
البابُ الثاني: الرسائل و الكُتُب و الوصايا	
وثيقة تحكيم صفّين	۴۶
من وصية لعلّي عليه‌السلام لعسكره ...	۵۰
عبدالحميد الكاتب	۵۱
ابن المقفّع	۶۰
البابُ الثالث: الشعرُ و الشعراء	
منزلة الشعر العربي في العصر الأموي	۶۶

عنوان	صفحه
أنواع الشعر العربي في العصر الأموي	۶۷
الفرزدق	۶۸
جَرير بن عطيّة الخَطَفَى	۹۰
المهاجاة بين الشعراء في العصر الأموي	۱۰۵
الأخطَل التَّغلِبيّ	۱۱۰
زيادٌ الأعجم	۱۲۶
جميل بن مَعْمَر (جميل بُثينة)	۱۲۸
مجنونُ ليلى	۱۳۵
عروة بن حِزام و قصيدته النونية	۱۴۳
نُصيب بن رَباح	۱۴۴
ليلى الأخيَليَّة	۱۴۸
كُثَيِّرُ عزَّةَ	۱۵۷
الغزل العُذريّ	۱۶۴
عمر بن أبي ربيعة	۱۷۰
فهرس المصادر وَ المراجع	۱۹۳

ما قَبْلَ المقدِّمة

من ميزاتِ هذه الطّبعة أنّها مَصحوبةٌ بمُراجَعةٍ شاملةٍ لكلِّ فصول الكتاب من قِبَـــل المؤلف. و هو يَرجو أن كان قد وُفِّقَ فى عَمَله هذا، و أن يكون العمـــلُ مفيـــداً اللطَّلَبة و لكلِّ مَن يقرأ الكتاب و يُطالعُ فيه أيضاً.

السيد محمّد الحسيني

مُقَدِّمة

العصر الأُمَوِيّ هو عصر الدولة الأُمويّة في الشام، من سنة ٤١ إلى سنة ١٣٢ للهجرة (٦٦١ـ٧٥٠ م)، نحو تسعين عاماً من الدهر. والخلفاء الذين حكموا في هذه الدولة فرعان: الفرع السُّفيانيّ والفرع المَروانيّ.

بعد مَعْرَكَة صِفّيْنَ نادى مُعاويةُ بن أبي سفيانَ وَالِي الشام بنفسه خَليفةً على الشام و حكم عِشرين سَنَةً، من السنة ٤١ هـ. إلى السنة ٦٠ هـ. (٦٦١ـ٦٨٠ م) ثَبّت المُلْكَ في أثنائها لبني أمية و جعل الخلافة وِراثية في نَسْلِهِ. و كانت المُشْكلةُ الأساسيةُ التي واجهت مُعاوِيَةَ أن أقطار الخلافة الباقية: الحجازَ والعراقَ و مصرَ و ماوراءها، كلَّها لم تكن تابعةً له، ثم كان له فيها مُنافِسون أقوياء؛ غير أن معاويةَ استطاع أن يَسْتَوْلِيَ على مصرَ بشيء من اليُسْرِ و أن يستوليَ أيضاً على بعض العراق و أن يقوم ببعض الفُتوح في المشرق و المَغرب. و لقد كان أقوى منافسيه عبدُاللّه بنُ الزبير و كان يبسط نفوذه على الحجاز كلِّهِ و على جانب من العراق أيضاً.

و خَلَفَ مُعاويةَ ابنُهُ يزيدُ، و لم يكن في الدَّهاء السياسي كأبيه، فكانت في أيامه مَأْساةُ كَرْبلاءَ و مقتلُ الحُسين بن عليٍّ (ع) (١٠ المحرم ٦١ هـ./ ١ـ١٠ـ٦٨٠ م). ثم كانت في أيّامه وَقْعةُ الحَرّة و غزوُ المدينة في ذي الحِجّة من سنة ٦٣ هـ.؛ فكَثُرَ الأعداء للأمويين في العراق و في الحجاز. و كان عبداللّه بن الزبير قد اسْتَبَدّ بحكم الحجاز.

وجاء بعد يزيدَ ابنُه مُعاويةُ، و كان شابّاً ضعيفاً عليلاً فتوفّي وَشيكاً فعاد النزاع على الخلافة من جديد، ولكنْ بين عددٍ أكبرَ من الطامعين فيها، ثم بين نفرٍ من رؤوس بني أميّة على الأخصّ. وتَغَلّب مَروانُ بن الحكم، شيخُ بني أميةَ يومذاك،

على الطامِعين بدهائه و بالوعود؛ ولكنّه اضْطُرّ إلى أن يقاتلَ عبدَاللّه بنَ الزبير فالْتَقى جيش مَروانَ ـ و مَعْظَمُه من اليَمانيَة و من أهل الشام ـ بجيش ابن الزبير ـ و معظمه من القَيسيَّة و من أهل الحجاز ـ في مَرْجِ راهطٍ[1]، على مَقْرُبَةٍ من دِمَشْقَ، فكانتِ الغَلَبَةُ لمروانَ. فعادت الخلافة إلى الاستقرار في بني أميّة و لكنْ في فرع جديد عُرِفَ في التاريخ باسم الفرع «المروانيِّ» نسبةً إلى مروان بن الحَكَم. وعاش مروانُ بنُ الحكم في الخلافة عشْرةَ أشهُرٍ، ثمّ خَلَفه ابنُه عبدُالملك، فبقي في الخلافة واحدةً و عشرينَ سنةً، من سنة ٦٥ إلى سنة ٨٦ هـ.

وسَكّ عبدُالملك للعرب عِمْلةً خاصّة بهم بعد أن كانوا يتعاملونَ بالعِملة الرومية والعملة الفارسيَّة، كما أمر بنَقْلِ الدواوين (كتابةِ سِجلاّت الدولة) إلى اللغة العربية بعد أن ظلّت إلى أيامه تُكْتَبُ في العراق بالفَهْلوية (الفارسية القديمة) و في الشام بالرومية و في مصر بالقِبطية. و هكذا أصبحت اللغة العربية لغةَ دولةٍ وامبراطوريةٍ.

و كان بنو أميّة قد خَطّوا لأنفسِهِمْ سياسةً قوميةً عَصَبيّةً عربيةً فأساء ذلك إلى المَوالي (و هم المُسلمون من غير العرب، من الفرس والترك الذينَ كانوا كَثْرَةَ السّكان في الامبراطورية الأموية). و كذلك كانوا قد أساءوا إلى آلِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ (ع) و تَتَّبعوهم بالقتل حَذَراً من أن ينتزعوا مِنْهُم الخلافة. واجتمع الموالي حولَ آلِ عليٍّ و قاموا بدعوة سِرّيةٍ للثّورة على الحكم الأمويّ و دَعَوْا إلى الرِضا من آلِ محمّد و اتّخذوا السّوادَ (العلم الأسود والثياب السود) شِعاراً لهم مُخالفةً لبني أميّة الذين كانوا قد اتّخذوا البَياض شِعاراً لهم. و ما أن جاء إلى العرشِ الأموي خلفاءُ ضعافٌ سِياسيّاً كيَزيد بن عبدالملك (١٠١ هـ./٧٢٠ م) حتى سَوّدَ الدّعاةُ (نَشَروا العلمَ الأَسود: أعْلنوا الدعوةَ) وأخذوا يقاتلونَ الأمويّين. واستطاع هؤلاء أن يُزَعزِعوا البيت المالك فأسقطَتْ الخلافةَ الأمويةَ في المشرق القوّاتُ الخراسانية بقيادة قائدهم الكبير، أبي مسلم الخراساني سنة ١٣٢ هـ. (٧٥٠ م).

---

١. موضع في الغوطة من دمشق في شرقيّه بعد مَرْج راهِط (معجم *البلدان*، «راهِط»).

الحياة في العصر الأموي

كانت حياة العرب في الجاهلية قائمة على العَصَبية القَبَلِيّةِ، و كانت هذه العصبيةُ سبباً من أسباب مُنازَعاتِهم الكثيرةِ التي قادتهم في معظم الأحيان إلى القتال كما كان قد اتّفق في الجاهلية في حرب البَسوس بين بني بكر و بني تغلبَ ثم في حرب داحِس والغبراء بين بني عَبْس و بني ذُبيانَ. فلمّا جاء الإسلامُ أغرق العصبياتِ و جمع العرب أمّةً واحدةً و يَداً واحدة. ثم خطّ الأمويون سياسَتهم القومية فعادت تلك العَصَبياتُ الجاهليّةُ إلى الاسْتيقاظِ من جديد. ثمّ إن المنافسة في طلب الخلافة قَسَمَتِ العربَ شِيَعاً فِكْريةً دينيةً في ظاهرها، سياسيةً في حقيقتها.

الخصَائِص الأدبيَّة في العَصْرِ الأُمَويّ

كانت مظاهرُ الأدب في العصر الأموي أربعةً: الشعرَ والخَطابةَ والتّرَسّل ثم الروايةَ التي أدّتْ إلى التأليف.

أما الشعر فقد عاد أشبهَ بالشعر الجاهلي في أسلوبه و في كثير من أغراضه، ثم كان الجانبُ الأكبر منه وَقْفاً على السياسة الحِزبية العَصَبيّة، كما كان جانبٌ كبير من الشعر الجاهلي متعلّقاً بالحياة القبلية. أما الخَطابة فإن أسلوبها ظلّ إلى حدٍّ كبير جاهلياً، بينما أصبحت أغراضُها إسلاميةً بَحْتاً لصِلَتِها الوثيقة بالدولة الإسلامية. و أما الترسّل فكان الفنَّ الذي اسْتَجَدّ في العصر الأمويّ أو الفنَّ الذي أصحبت له ـ في ذلك العصر ـ حدودُه و شروطه الثابتة و خصائصه المميّزة على الأقلّ.

و كَثُرَتِ الرواية في العصر الأمويّ: روايةُ الحديث و رواية الأخبار المتعلّقة بأيّام العرب في الجاهلية و بالأدب عامّةً و باللغة و النحو. و لاريب في أن نفراً كثيرين من رُواةِ الحديث و اللغة و النحو و الأدب و التاريخ قد دوّنوا كثيراً من رواياتهم هذه و بدأوا ما يمكن أن يكون «حركةَ تأليف». ولكن لم يصل إلينا شيء مما أُلِّفَ في العصر الأموي على الرُّغم من أن عدداً من أسماء الكتب قد وصل إلينا.

الف) الشعر. على أنّ أبرز فنون الأدب في العصر الأمويّ و أوسَعَها نِطاقاً كان الشعرَ. و كان هذا الشعر نفسُه أنواعاً متعدّدة:

١. الشعر السياسي: الشّعر السياسيُّ هو الشعرُ الذي قاله الشعراء المُناصرون للأحزاب السياسية المتنازعة على الخلافة في العصر الأموي. و كان الشعرُ المستمرُّ بين الشعراء المُتهاجِينَ يُدعى النقائضَ. و بما أن النقائض كانت فنّا خاصاً بالعصر الأمويّ و بارزاً في الشعر جدّاً فإنّ القول فيها محتاج إلى شيء من البسط:

النقائض: «النقيضة» قصيدة يردّ بها شاعر على قصيدة لخصمٍ له فيَنْقُضُ معانيَها عليه: يَقْلُبُ فخرَ خصمهِ هجاء، وينسب الفخرَ الصحيح إلى نفسه هو. و تكون النقيضة عادة من بحر قصيدة الخصم و على رويِّها. قال الأخطل (من البحر البسيط على رَويّ الراء المضمومة):

خَفّ القَطينُ فراحوا منك أو بَكَروا وأزْعجَتْهم نَوىً في صَرْفها غِيَرُ

فأجابه جَريرٌ (من البحر نفسه و على الرويّ نفسه):

قل للديار: سقى أطلالَك المطرُ قد هِجتِ شوقاً، و ماذا تنفع الذِكَرُ!

و قد تختلف أحياناً حركة الرويّ في النقائض، كقول الفرزدق (من البحر الكامل على اللام المضمومة):

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً دعائِمُهُ أعزُّ و أطولُ

فأجابه جرير (من البحر نفسه ولكن على اللام المكسورة):

لِمَنِ الديارُ كأنّها لم تُحْلَلِ بَينَ الكِناس و بينَ طَلْحِ الأعزلِ

فإذا قال أحدُ الخصمين قصيدة جديدة (ولو كانت استمراراً لمهاجاة قديمة) فإنه ينظمها عادة مِن بحر جديد و على رويّ جديد، إلاّ أن خصمَه إذا ردّ على هذه القصيدة الجديدة تقيّد ببحرها و رويّها.

و ربما اشترك في المناقضة بضعةُ شعراءَ؛ فمِن ذلك مثلاً قولُ الفرزدق يخاطب جريراً:

يا ابْنَ المَراغةِ، والهجـاءُ إذا الْتَقَـتْ أعْناقُـه و تماحَـك الخَـصمانِ

فقال جريرٌ يَردّ على الفرزدق:

لِمَـنِ الـديارُ ببُرقـةِ الرَوْحـان إذ لا نَبيـعُ زمانَنـا بزمـانِ

و قال الأخطل يردّ على جرير أيضاً:

بَكَـرَ العـواذلُ يَبْتَـدِرْنَ مَلامـتي والعـالَمون، فكلّهـم يَلْحـاني!

والمختارُ في النقائض أن تكون طِوالاً، و فيها يفتخر الشاعرُ بنفسه و بقومه، و بفضائل نفسه كالشعر والكرم والشجاعة، ثم بأحساب قومه كـالحروب الـتي انتصروا فيها والعهودِ التي وَفَوْا بها والمحاسنِ التي أتَوْها من الكرم والـدفاع عـن الأعراض والقيام بشأن القبيلة وما إلى ذلك. بعدئذ يُنَقِّب الـشاعر عـن معائـب خصمه و قومِ خصمه فيذكرهم جميعاً بالعَيِّ والبُخْل والجُبن ـ حقـاً أو بـاطلاً ـ ويذكر أيضاً الحروبَ التي هُزموا فيها والعهودَ التي نقضوها والمخازيَ التي عَرَضَتْ لهم. وإذا أعْوزته المخازي أو أعوزه شيءٌ منها لم يتأخرْ عن اخْتلاقه.

و في النقائض إقْذاعٌ شديد و فُحش و بَذاءةٌ، إلاّ أن المـُتناقِضَين قد تَعَرّضوا دائماً للعُيوب الخُلُقية النفْسيةِ كالبخل والجبن والغدر والزنا، و لم يتعرّضوا لَلعيوب الخَلْقية الجسدية[1] كالعرج والعَوَر والإحْديداب إلاّ نادراً؛ كالتعيير بالفقر و ضعف الجسد عامة ...؛ و لم يكن ذلك عند النقاد محموداً.

و قد يمدح الشاعر خليفةً أو أميراً بقصيدةٍ يَعْرِضُ فيها أيضاً لهجاء خصمه أو للردّ عليه فتكون نقيضَة. قال الأخطل يمدح عبدَالملك و يهجو جريراً:

إليكَ، أمـيرَ المـؤمنين، رَحَلْتُهـا على الطائر الميمون و المنزل الرَّحْـب

و في كل عامٍ منك للـروم غَـزوةٌ بعيدةُ آثـارِ الـسَّنابك والـسِّرْب[2]

لَحا الدهرُ قوماً من كُلَيْبٍ كـأنَّهم جِداءُ حِجـازٍ لاجئـاتٌ إلى زَرْبِ[3]

---

١. راجع: *العمدة*، ٢ / ١٦٦.

٢. السنابك: حوافر الخيل. السرب: المسلك، الطريق. أي تبعد في غزواتك.

٣. في *النقائض* (ص ١٠٨): صرما (قطعة) مكان «قوماً». لزرب: الزريبة، الحظيرة.

نشوء النقائض: كانت النقائض في العصر الأمويّ اسْتمراراً للهجاء القَبَليّ في الجاهلية؛ و كان يَبعثها عادةً خِلافٌ بين قبيلتَين أو أسرتين فينتصر شاعرٌ لقومه أو لأحلاف قومه، فيردّ عليه شاعرٌ من هؤلاء، فيعودُ الأول إلى الردّ عليه ثمّ يلتحمُ الهجاءُ و يستطير. و لقد أذْكى هذه النزعةَ في الشعراء قيامُ الأحزاب و تقرُّبُ هؤلاء الشعراء إلى الخلفاء والأمراء بهجاء خُصومِهم تَكسُّباً للمال.

كانت النقائض تُمثّل جانباً من العصر الأُمويّ، ذلك الجانبَ المضطرب بالتنازع على الخلافة مع ما يَستتبعه ذلك التنازعُ من الأحوال. لقد دلّت على أن الحَمِيّةَ الجاهليةَ ظلّت ذاتَ أثَر في النفوس حتى بعد أن انْتَشَرَ الإسلامُ؛ ولكنّ أثَر الإسلام و أثرَ الحياة الجديدة كانا بارزَيْنِ ظاهرَينِ يزدادان مَعَ الأيامِ اتّساعاً و نفوذاً إلى النفوس.

٢. الغزل والنسيب: عاد الغزل والنسيب في العصر الأمويّ إلى الازْدهارِ بعد أن كانا قد أُهْمِلا قليلاً في صدر الإسلام الأوّل.

لقد انْحَدَرَ الغزلُ الأمويّ من الغزل الجاهليّ، غيرَ أن هذا الغزلَ كان في الجاهلية غرَضاً من أغراض القصيدة يأتي في أبياتٍ تَقِلّ أو تَكْثُر و تَتوالَى أو تَتفرّقُ؛ فلمّا انْحَدَرَ إلى العصر الأُمويّ أُتيحَ له شعراءُ وَقفوا جُهْدَهم عليه، كعُمرَ بنِ أبي ربيعةَ الذي جعل منه فنّا قائماً بنفسه. كان عُمر يَقْصُرُ القصيدةَ على الغزل فلا يَكاد يقول فيها إلاّ غزَلاً، ثم إنه لم يَقُلْ إلاّ في الغزل. و مَعَ أنّ عمر بنَ أبي ربيعة لم يبتكر شيئاً من خصائص الغزل العامّة، فإنه قد جمع مُعْظَمَ هذه الخصائص في شعره و أَجرَى الغزلَ في قَصص و حِوارٍ حيناً و في نِقاش و إقناع حيناً آخرَ. و مثلَ ذلك فعل نفَر كثيرون من الشعراء المُغامرينَ الذين كانوا يَتّبعون الجمالَ و يَهيمون بالمرأة هُياماً يَجْرون فيه على مقتضى الطبيعة البشرية.

والنسيب أيضاً فنٌّ جاهليّ أصيل، غيرَ أنه خَضَع في العصر الأمويّ لِتطوّرٍ بارز جدّاً: لقد تطوّر جانبٌ منه فنشأ ما نُسمّيه بالغزل العُذْريِّ.

و مع أن الغزل العُذريّ اكْتَسَبَ اسْمَهُ من قبيلة بني عُذْرَةَ التي كَثُرَ فيها

الشعراء الذين اخْتار كلٌّ واحدٍ منهم أن يَقْصُرَ هَمَّهُ و شعره على امْرأةٍ واحدة يَرى فيها و في قُرْبها سعادتَه و شَقاءَه ثم لا يلتفت إلى امرأةٍ غيرِها أيضاً، فإن مثل هـذا الحبِّ قد عُرِفَ في قبائل أخرى كقبيلة بني عامرٍ مثلاً.

والمفروضُ أن يكون الغزلُ العذريُّ غزلاً عفيفاً، و هو كذلك في الأكثـر، غير أن الشعراء العذريين كانت تُنازِعهم أنفسُهم إلى كلّ ما كانت تَـصبُو إليـه نفوسُ غيرِهم، ثم إذا هم وَجَدوا فُرصة سَلَكوا مَسْلَك الناس جميعاً في هذا الجانـب من الحياة. على أن الذي ظلّ يَفْصِلُ بينَ الشعراء الذين نُسمّيهم عُـذريينَ و بـين سواهم من الشعراء المـُحبّينَ أنَّ هؤلاء العذريين لم يُبالُوا بامرأة غير تلـك الـتي توهّموا حُبّها. و قد تُبدي المرأة التي يَتَتَبّعُها المحبّ العذريُّ صدّاً أو كُرهـاً لـذلك المحبّ الشاذِّ، و قد تتزوَّج تلك المرأةُ و تَرْبطُ سعادتُها و مصيرُها برجلٍ آخرَ؛ ولكنّ محبَّها يَظَلّ على وَهْمه الأوّل يَنْظُمُ فيها الأشعار، و يُضْرِبُ في أزَماتِ تذكّرِه لهـا، عن الطعام والشراب حتّى يُهْزَلَ جسمُه أو حتّى يموت.

٣. الخمريات: القول في الخمر غرض من أغراض القصيدة الجاهلية اتّـسع عند الأعشى من غير أن يُصبِـحَ فنّاً مستقلاً. ثم جاء الإسلام فغابـت الخمـرُ أو كادت. و مع أن نفراً من الشعراء المسلمينَ ـ و من المسلمين غيرِ الشعراء أيـضاً ـ قد شَرِبوا النبيذَ أو شربوا الخمر التي لم يكن تَمّتَ خِلافٌ في تحريمها، فإنَّ الشعراء المسلمين لم يقولوا في الخمر إلاّ في النادر، كما رأينا عند أبي مِحْجَن الثّقَفِي و كما سنرى عند نفَر قليلينَ من الشعراء الأمويين المسلمين. أما الأخطل المسيحيُّ فقـد جرى في شرب الخمر و في القول فيها على سجيّته، كما سنرى ذلـك و تعليـلَ ذلك في ترجمته أيضاً.

و لم يكنِ القولُ في الخمر مُتّسعاً في العصر الأموي، بالإضافة إلى ما كـان عليه في الجاهلية من قبلُ و في العصر العبّاسي من بعدُ، و لا أصبح القول في الخمر في هذا العصر الأمويّ فنّاً مستقلاً قائماً بنفسه. و يحسُن بنا أن نَزيد هنا أيضاً أنه لم يطرأ جديد على أوصاف الخِمر في هذا العصر، و أن الخمر كانت و لا تزال تنتظر أبا نواس (توفي سنة ١٩٩ هـ.) حتّى يُوَفّيَها حقَّها و حتّى يجعلَ منها فنّاً قائماً بنفسه.

٤. أما سائر فنون الشعر و أغراضهِ من الوصف والأدب (الحِكمة) والمدح الخالص والهجاء الشخصيِّ والعتابِ فكانت قليلةً جدّاً لم تُبرَز في العصر الأمويّ، إذْ غطّى عليها الهجاءُ القَبَليُّ والغزل.

الرَّجَز خاصّة: الرجز نوع من أنواع الشعر، هو في الحقيقة أسهلُ أنواع الشعر و أقلُّها تكلّفاً. و الرجز في الأصل يجب أن يكون قد تطوّر من السَجْع، حينما أدْخل نفرٌ من الشعراء الوزنَ على الجُمَل المَسجوعة.

والرجز بَحْر (وزن) من بحور الشعر، تفاعيله:

مُسْتَفْعِلُنْ مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

يتوالى في كلّ تَفعِيلةٍ منها: متحرّك فساكن فمتحرك فساكن فمتحرّك فساكن (– ◦ – ◦ – –) [١].

ب) الخَطابة. أسهمت عواملُ كثيرة في ازدهار الخطابة لعصر بني أمية، إذ كانت لا تزال للعرب سلائقُهم اللغوية و لم تفسُد ألسنتُهم بمجاورة الأمم الأجنبية والاختلاط بشعوبها، و كانوا من بلاغة المنطق و حسن البيان وجودة الإفصاح و الإفهام بحيثُ يستطيع متكلّمُهم أن يَبْلغ ما يريد من استمالة الأسماع مع الدّيباجة الرائعة و الرونق البديع.

و عواملُ مختلفة هيأت للخَطابة العربية أن تبلغ في هذا العصر كلَّ ما كان يُنْتَظر لها من نَشاط و ازدهار، و من الممكن أن نَردّها إلى السياسة والمحافل والدين. فأما مِن حيث السياسة فإن هذا العصر امتاز بظهور معارَضة حادّة فيه للدولة الأموية، و هي معارَضةٌ كانت تَدور على الخلافة: و هل تُقْصَرُ على بني أمية أو تكون حقّاً شائعاً للمسلمين جميعا، أو تُرَدّ إلى بني هاشم و أبناء عليٍّ (ع) خاصةً، أو تكون حقّا للعرب فلا تختصّ بها قريش. و كان كثير من سادة العرب و أُسَرها النبيلة يَرى أن الخلافة ينبغي أن لا تُقْصَر على قريش و أن تُرَدَّ إلى العرب قاطبة، و

١. *تاريخ الأدب العربي*، عُمر فرّوخ، ١/٣٥١-٣٦٧ (ملخّصاً).

بلغ هذا الشعور قمّتَه في الكوفة، فانبرى عبدُالرحمن بنُ الأشعث الكِنْديُّ يعبّر عنه في ثورته على الحجاج، تؤيده بلدتُه، ولكنَّ ثورته باءتْ بالفشل. ولا نصل إلى أوائل القرن الثاني حتى يثور نفسَ الثورة يزيدُ بنُ المهلب، و تَدورَ عليه الدوائرُ.

و دائماً تلقانا في صفوف هذه المعارضة خطابةٌ كثيرة، إذ يمتشق الخطباء ألسنتَهم في تصوير مذاهبهم السياسية يَدعون لها، كما يدعون للانتقاض على بني أمية. و كان يلقاهم أنصارُ الأمويين بخطابة ملتهبة، يصوِّرون فيها خروجَهم على الجماعة وشغَبهم و أنهم يَضِلّون الطريق. و كلّ ذلك هيّأ في قوّة لنشاط الخطابة السياسية. و من الممكن أن نُضيف إلى هذا الجانب خطابةَ القوّاد في الجيوش الغازية شرقاً و غرباً؛ إذ قلّما احتدمت معرَكةٌ إلاّ احتدم معها الشعر والخطابةُ[1].

ج) الرَّسائل. تزخَرُ كتب التاريخ و الأدب برسائلَ سياسيةٍ كثيرة أُثرت عن هذا العصر. و حقّاً هناك رسائلُ كثيرة ولاسيّما رسائل الشيعة، و أول حادث تكثُر رسائلُهم فيه، استدعاءُ أهل الكوفة للحسين (ع) و ما كان بينه و بينهم من مراسَلات تَحُضّ على الثورة على بني أميّةَ لظلمِهم الرَّعيةَ واغتصابهم الخلافةَ من أصحابها الشَّرعيّينَ، و نمضي بعدَ مقتله (ع) فتلقانا حركةُ التوّابينَ، و يُصوِّر زعيمُهم سليمانُ بنُ صُرَد في مكاتبته لبعض أصحابه نَدمَهم على خِذلانِ الحسين (ع)، و أنّه ليس لَهم مِن مخرجٍ و لا توبةٍ إلاّ بالثّأرِ من قاتليه[2].

ولاشكَّ أنّ عبدَالحميدِ بنَ يحيى الكاتبَ ـ و هو فارسيُّ الأصل ـ أبلغ كُتّاب هذا العصر و أبرعَهم، و قد سَمّاه الجاحظ في بيانه «عبدَالحميد الأكبرَ» و نَصَح الكُتّاب أن يتّخذوا كتابتَه نموذجاً لهم. و ظلّت شهرتُه مدويّة على القرون حتّى قيل: «فُتحت الرَّسائلُ بعبد الحميد و خُتِمَتْ بابنِ العميد». وفيه يقول ابنُ النَّديم: «عنه أخذ المترسِّلون ولطريقته لَزِموا، و هو الذي سهَّل سبيلَ البلاغة في التّرسُّل».

---

١. *تاريخ الأدب العربي*، شوقي ضيف، ٢/٤٠٥ـ٤٠٧.

٢. *المصدرنفسه*، ٢/٤٥٦ و ٤٥٩.

و الكتاب يتألّف بوجه عامّ ـ كما مرّ بنا قبلُ ـ مِن ثلاثة مواضيعَ و تأتي فيه على الترتيب التالي:

١. الخطبُ و الخطباء، و يدخل فيها القَصَصُ و القُصّاص أيضاً؛

٢. الرّسائلُ و العهود، و يدخل فيها الوصايا أيضاً؛

٣. الشّعرُ و الشّعراء، و قد أتينا بَمشاهير شعراء هذا العصر و نَماذجَ مِنْ أشعارهم.

أرجو من اللّه تعالى أن أكون قد وَفّقْتُ و أصبت الهدف. عليه توكّلت و إليه أُنيب.

السيد محمّد الحسيني